

محمود شلبي

# اشعاعا شالح



منشورات المكتبة العصرية  
طيدا - بيروت

اشعاعات الحج

الطبعة الأولى

١٩٨٣م

محمود شلبي

# اشعاعات الحج

منشورات المكتبة العصرية  
طيدا - بيروت

الإهداء . .

اللهم . . . منك . . . وإليك

محمود شلبي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله ...

والصلاة والسلام ... على رسول الله ...

وبعد ...

ما ظننت يوماً أن منسك الحج ... يبلغ ذلك المبلغ من  
البهجة ... والعظمة ... والجمال ... والجلال ... والرحمة ...  
والأمن ... والسلام ... والخير ... والبركة ...

حتى من الله عليّ ... وأذن لي ... وناداني ...

فأجبتة ... لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك  
لبيك ... إن الحمد والنعمة لك والملك ... لا شريك  
لك ...

وحججت بيت الله الحرام ... فشهدت ما لم يخطر على  
بالي ...

وذقت أذواقاً ... عجباً!!!

ما هذا ... ما سر البيت ... ما سر الصِّفا ... ما سر  
مِنِّي ... ما سر العيون الباقيات ... ما سر الوجوه  
المشرقات!!؟

ما هذه البهجة التي تغمر الجميع ... والفرحة التي  
تسري في الأفئدة!!؟

فسجلت في هذا الكتاب ... شيئاً مما مَنَّ الله به عليّ ...  
مجرد قطرة من بحر ... لا يتناهى ...  
عسى أن يجعله ربي حقاً .

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَتَلَّهُ ... لِلْجَبِينِ ...؟!!

أشرف ... جبين!!!

وأعلى جبين!!!

وأرقى جبين!!!

ليتني أجد إليه سبيلا ... فأقبله ... فيمسنني من

شرفه العظيم!!!

أي جبين هذا؟!!

هذا الجبين!!!

إنه الجبين ... الذي سجله الله العظيم ... في كتابه

العظيم ... في قوله العظيم:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾

﴿وَنَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾.

والمفتاح في قوله:

« لِلْجَبِينِ »!!!

نصَّ على الجبين... إشارة إلى أمر عظيم...  
أنَّ هذا هو الجبين الأوحده... في البشر أجمعين...  
الذي سَجَدَ لله... مذبوحاً!!!

آه... ما أعمق هذا!!!

ثم آه... ما أبعد هذا عن فهم الفاهمين!!!  
لو يفهمون الإشارة الجبارة... لذابوا حيناً وأنينا!!!  
إن الغلام يسجد... جبينه إلى الأرض...  
هي هيئة السجود...

ولكن في مقام جديد... يسجد ليُذبح!!!!!!!

ومن الذابح!؟

الأب!!!

ومن المذبوح!؟

الابن!!!

وأخرج الأب السكين... وأهوى بها على رقبة

الابن...

والابن مستسلم... للأب...

جبينه... ساجد على الأرض...

والسكين يهوي على عنقه!!!

ونادى الوجود كله: ما شهدنا أحداً أسلم نفسه لمثل

هذا أبداً!!!

فلماً شهد الوجود كله... وأدى شهادته!!!

نادى الله... الذابح والمذبوح...

يا إبراهيم... يا إبراهيم!!!

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾!!!

والتفت الخليل... العظيم... يستمع...

والغلام... وما أدراك ما الغلام!!!

جبينه إلى الأرض...

ينتظر إتمام الذبح!!!  
إنه مقام عجيب... انفرّد به... إسماعيل!!!  
مقام... الساجد... المذبوح!!!  
ولا نعلم... والله أعلم... أنه يوجد في البشر أحد..  
نال هذا المقام... غير إسماعيل!!!

مقام الساجد المذبوح!!!  
إن الله تعالى حين أمرنا بعبادته أمرنا... بالسجود له  
في الصلاة...  
أي نجعل جبيننا على الأرض... وكان هذا أقصى ما  
يمكن أن يقدمه العبد لربه... اقراراً منه بعبوديته  
لربه...

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

﴿أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ﴾

فكيف بمن سجّد... لا لينتهي الأمر عند السجود...  
ولكن تمهيداً لذبحه!!!

ها هنا نال إسماعيل... ما لم ينله أحد...

نال مقامين ...

مقام الساجدين ...

ومقام انفراد به وحده ... وهو الساجد المذبوح ...

أو المذبوح الساجد ...

لقد كان المشهد العظيم ... أن الغلام وجهه الشريف  
إلى الأرض ...

جبينه الأشرف على الأرض ...

والسكين يهوي على عنقه من أعلى ...

جبين ساجد ... أتم السجود ...

ينتظر اتمام عملية ذبحه !!!

إن هذا لأمر تتلاشى له العقول !!!

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ !!!

وجاءت لحظة الفداء ...

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ !!!

وإنما كان هذا الذبح عظيماً ... عند الله ... لأنه نال

شرف فداء... أعظم جبين سجد لله...  
ومن أجل هذا... جعل الله... مِنِّي... منسكاً من  
مناسك فريضة الحج... إلى يوم القيامة...

من أجل عوينات إسماعيل!!!  
وجُعِلت مِنِّي... كلها منْحراً!!!

قال صلى الله عليه وسلم:

«نحرت ها هنا، ومِنِّي كلها منْحر، فانْحروا في رحالكم

» ووقفت ها هنا وعرفة كلها موقف

» ووقفت ها هنا وجمْعُ<sup>(١)</sup> كلها موقف...!!!

قالوا: «ومنْحر النبي صلى الله عليه وسلم هو عند

الجمرة الأولى...»

والإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم «ومِنِّي كلها

منْحر...»

أن هذه المساحة الواسعة كلها منْحر تنْحرون فيه

---

(١) أي المزدلفة

ذبائحكم... لأنها شرفت وشهدت المشهد العظيم... الذي  
ليس كمثلته مشهد...

مشهد...: إسماعيل... جبينه على الأرض...  
ساجداً... ليذبح!!!

وصارت منى منسكاً عظيماً... يبيت فيه الحجيج أربع  
ليالٍ...

من أجل عوينات إسماعيل...

ولو من الله عليك... بأداء فريضة الحج العظيمة...

لرأيت منى تمش في ألوفا الحجيج رجالاً ونساء...

في خيامهم... وعلى الجبال... وعلى السفوح...

عالم من كل جنس من العالم... يموجون ويذبحون

ويقيمون ويبيتون...

كل أولئك... كان مفروضاً...

من أجل عوينات إسماعيل...

من أجل ذلك الجبين...

أشرف جبين!!!

من أجل تلك الفعلة... التي ليس كمثلهما فعلة...

من أجل:

﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾!!!

من أجل أن ذلك المشهد... الذي ليس كمثله

مشهد... كان في منى...

فشرفت منى... إلى الأبد...

وصارت منسكاً إلى الأبد...

وفرض تعظيمها إلى الأبد...

﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى

الْقُلُوبِ...﴾!!!

لأنها شهدت مشهداً عظيماً...

مشهد الجبين الأشرف...

حين تله إبراهيم...

سلام على إبراهيم...

سلام على إسماعيل...

سلام على جبين إسماعيل !!!  
الذي نال... ما لم ينله جبين... في العالمين !!!

وَاذْكُرْ... فِي الْكِتَابِ... إِسْمَاعِيلَ...!؟

أثناء...

تطوافي مِنِّي... حين كنت أؤدي فريضة الحج... في  
ذي الحجة من عام ١٣٩٦ هجرية... الموافق ديسمبر  
١٩٧٦ ميلادية...

رأيت منظرًا فريداً... رأيت عشرات الألوف من  
الخيام... يأوي إليها مليونان من البشر... من شتى  
الأجناس...

رأيت مِنِّي نهاراً... وكثير من الناس يبحثون عن  
الماء... ويحملون أوانيهم يتدافعون بها حيث يجدون  
صنبوراً للماء... ليأخذوا ماء قليلاً يروي عطشهم، ولكنهم  
سعداء!!!

فبكيت ... وتمت: كل هذا من أجل عوينات  
إسماعيل!!!

ورأيت مِنى ليلاً... تبدو عروساً تتلأأ... جناها  
مغطاة بالخيام... والخلق ينتشرون عليها... وسفوحها  
تمتلئ بالخيام والناس يزدحمون فيها وحولها...

والحركة صاخبة... فيها وإليها... فبكيت...  
ورددت: من أجل عوينات إسماعيل!!!

مستحيل... ثم مستحيل... أن تضع هذه الفعلة...  
وتتلاشى...

لقد شرفت مِنى كلها... بمشهد: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾!!!  
وتقدست مِنى كلها... بوقوع ذلك الحادث فيها...  
وصارت مِنى إلى يوم القيامة من شعائر الله... من  
أجل عوينات إسماعيل!!!

إن البطون تقذف كل يوم ملايين من الأطفال...  
يعيشون ويموتون... ولا وزن لهم...  
ولكن طفلاً واحداً... شذَّ... عن ذلك الناموس...

إنه هو الغلام العظيم... الذي إسمه إسماعيل!!!  
وتذكرت وأنا أطوف بين ربوع منى... والدمع يملأ  
عيني... ذلك الغلام...

من أي موج تَرَكَّب... وتكوّن!!!  
فتذكرت أنه دعوة أبيه الخليل...

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾

وإنَّ من موجته... موجة نوح... لإبراهيم...

ما حقيقة إبراهيم!!؟

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾!!!

ثم ماذا!!؟

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾!!!

إنَّ أسلم قلب على الأرض ينادي: هبْ لي من  
الصالحين.

هذه هي الموجة... التي تكوّن منها إسماعيل!!!

تخلّق إسماعيل... من موج الخليل!!!

ثم ماذا؟!!

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ ﴾

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ... ﴾!!!

الحقيقة الابراهيمية... تخاطب الحقيقة

الإسماعيلية!!!

﴿ ... فَانظُرْ مَاذَا تَرَى... ﴾!!?

كلمات تعلو على الكلمات...

إنها حقائق... تخاطب حقائق...

والحقائق إذا تخاطبت عجزت الكلمات أن تكون لها

وعاء!!!

هنالك... نطق الغلام... بما لم ينطقه غلام من

قبله... ولا من بعده!!!

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ ﴾!!!

نَفَّذْ... واذبحني!!!!!!!

لو أن الناس جميعاً... قاموا على قدم واحدة... من

الأزل إلى الأبد. بلسان المراتب كلها... فجعلوا يسبحون

ويحمدون الله... على هذه النعمة...

أن جعل من نوعهم... نوع الإنسان... غلاماً...  
ينطق بمثل هذا...

ما بلغوا ذرّة واحدة... مما ينبغي عليهم... الله...  
شكراً على ما أنعم عليهم... أن جعل إسماعيل... من بني  
آدم!!!

والإنعام على فرد من جنس الإنسان... إنعام على  
الجنس كله...

ولعل هذا من أسرار مناسك الحج...

أن جعل الله مني منسكاً... لجميع الناس إلى يوم  
القيامة... ليؤدوا بعض ما يجب عليهم لربهم... أن أنعم  
عليهم... بواحد... من جنسهم يبلغ من الرقي... ما بلغ  
ذلك الغلام... حين قال: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾!!!

ثم ماذا؟!!!

ثم أعطى الغلام وعداً...

هو أعظم وعد... صدر عن إنسان!!!

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ !!!

سَ؟!!!

السين للتأكيد...

ولكن لا تأكيد مع القَدَر...

فكانت «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» الموجة العُلَيَا... تشعشع في

الوجود... عظمة ذلك الغلام!!!

ولكن النفس قد ترى وجودها... حين تتسامى على

الوجود...

فكانت «مِنَ الصَّابِرِينَ» موجة الانكسار والاضطرار

والافتقار!!!

وتكاملت المراتب العُلَى... في ذلك الغلام...

وسمعها أبوه العظيم... الكريم... الحلِيم... العليم...

الذي إسمه إبراهيم!!!

أعطى الغلام العظيم... أعظم وعد صدر عن

الإنسان!!!

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ !!!

فهل وَفَى؟!!!

نعم... ثم نعم... ثم نعم... إلى الأبد!!!

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ...﴾!!!

سجلها له ربه... وشهد له... أنه كان صادق

الوعد!!!

وكفى بالله شهيدا!!!

أي شرف هو أعظم من ذلك الشرف؟!!!

هنيئاً لك... يا سيدي... يا أعظم غلام... يا صادق

الوعد!!!

مَنْ الشاهد ها هنا؟!!!

الله!!!

ومن المشهود؟!!!

إسماعيل!!!

فلنعم الشاهدون...

ولنعم المشهود!!!

﴿وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ !!!

اللهم إني أسألك ... من مقامها ... ﴿أَنِّي أذْبَحُكَ ...  
افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ... أن تفتح علينا فتحاً منك نفهم به ...  
من عجائب هؤلاء ... ما تشاء !!!

أي صدق أعظم من ذلك الصدق ...

أي وفاء أعظم من ذلك الوفاء !!؟

ومن هنا ... بدأ سبحانه بتسجيل تلك الصفة

العليا ... لإسماعيل ... قبل غيرها من صفاته العُلى !!!

ففيه مجموع من الصفات الشريفة ... إلا أن هذه

الصفة ... هي أعلاها ... وأبهاها ... وأبهجها ...

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ !!!

وصدق الغلام ما وعد ...

وأسلم نفسه ... للذبح !!!

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ... ﴾ !!!

أسلما ماذا ... لمن !!؟

لا تستطيع لهذا تحديدا ...

لأن الأنبياء ... في الأفق الأعلى ... ونحن أجمعون ...

في الأفق الأدنى ...

والأعلى يدرك الأدنى ...

ولكن الأدنى لا يدرك الأعلى ...

فكان حقاً علينا ... أن نُسلم ذلك ... لله ...

هو أعلم بهما ... آنذاك !!!

﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾

نحن وحدنا ... نعم من إبراهيم !!؟

فأنتى للناس أن يدركوا حقيقته !!؟

وكذلك إسماعيل ... وهل إسماعيل ... إلا الحقيقة

الإبراهيمية ... تلالآت في الغلام !!؟

ولعل هذا هو السر ... حين سَوَى بينها في ذلك المقام

فقال:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ ...

كانا ... سواء ...

لا تستطيع أن تتفوه: هل الوالد أعظم ها هنا ... إذ  
يذبح ولده ...

أم الابن ... إذ يتطاول ويسلم نفسه لأبيه ... ليذبح !!  
مقامها ... وحدها ... الله أعلم بهما !!!

وإنما نقف جميعاً ... نتفهم فلا نفهم ... ونتعلم فلا  
نعلم ...

إنه ... الخليل !!!

وإنه ... إسماعيل !!!

على نبينا ... وعليها ... السلام !!!

وما ... سرّ ... الصّفا ...؟!!

عجيب ...

أمر هذا الصّفا!!!

ما سره؟!!

لماذا يفجر عيون الساعين والساعات ... بينه وبين

المروة ... بالبكاء؟!!

لا أدري ... ولا أحد يدري!!!

ما أبكاني منسك في الحج مثل منسك ... السعي بين

الصفا والمروة ... فلماذا ... وما سر هذا؟!!

كنت أظن أن هذا شيء خاص بي ... ثم تبين لي

عملياً ... أن الكل كذلك ...

أقبلت عليّ امرأة حاجّة ... وأنا أقف قريباً من

الصفاء... تسألني: أين الصفاء؟!

فأشرت إليها بيدي... هوذا أمامك...

فقلت: هذا الذي سعت إليه سِتُّنا «هاجر» تبحث

عن... (وهنا خنقها البكاء وانفجرت تبكي وتبكي)...

الماء...

وولت إليه... ودموعها تجري وتجري!!!

فبكيت لبكائها... وجعلت أردد: ما سر الصفاء... ما

سر الصفاء!?!

وصعدت إلى الطابق العلوي... للمسعى... وجعلت

انظر من الشرفة إلى الصفاء...

فرأيت عدداً من الرجال والنساء... ينظرون من

الشرفة مثل ما أنظر... وكلهم يبكون... ويحاولون إخفاء

وجوههم عن بعضهم البعض... حياء من كثرة بكائهم...

فبكيت معهم... وأخفيت وجهي عن وجوههم... كما

يفعلون!!!

ما سر هذا البكاء!?!

ماذا في هذا الصفا؟!!!

وجعلت أنظر من الشرفة... فرأيت شيئاً لا

'يوصف!!!

ألوف من الرجال والنساء... في ملابس الإحرام...  
يسعون بين الصفا والمروة... ويهرولون... ينبعث منهم  
هدير كموج البحر...

هدير... الدعاء... والبكاء... والذكر...

والتهليل...

من كل لون... ومن كل أمة... منهم الأسود  
والسوداء... والأبيض والبيضاء... والأسمر  
والسمراء... والشاب والشابة... والشيخ والشيخة...

والكل يسعى ويهدر...

تسمع لهم رنيناً وأنيناً وهديراً... يموجون من الصفا

إلى المروة... ومن المروة إلى الصفا...

مشهد فيه جمال ليس كمثله جمال!!!

وفيه أحاسيس ليس كمثلها أحاسيس!!!

والجميع ... بلّلت الدموع عيونهم ...

فكيف بما يموج من قلوبهم ... وإلى قلوبهم!!!؟

فما سر هذا كله!!؟

هل السر في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ

يَطُوفَ بِهِمَا

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.!!؟

ولكن ما السر في الآية نفسها!!؟

لماذا جعل الله ... الصفا والمروة من شعائر الله!!؟

لماذا خلّده ذلك الخلود العجيب!!؟

فأوجب على من حج البيت أو اعتمر أن يسعى بينها

سبعاً!!؟

أمن أجل عوينات إسماعيل!!!

وما علاقة إسماعيل بهذا الأمر الجليل!!؟

كان اسماعيل رضيعاً... تركه الخليل عليه السلام...  
مع أمه هاجر... في وادٍ لا حياة فيه على الإطلاق...  
يمكنك أن تتصور المنظر هكذا...  
أرض فضاء... لا ماء... لا زرع... لا إنسان... لا  
حيوان...

وادٍ يخلو تماماً من الحياة...  
من حوله جبال صلدة... حديدية قاسية موحشة...  
وامرأة وحدها... معها رضيعها...  
وتركها زوجها... راجعاً إلى الشام... وحدها...  
ليس معها إلا قليل من ماء في جراب صغير...  
ونفد الماء... فعطشت ثم عطشت...  
حتى جف اللبن في ثديها...  
وأقمتها الطفل... فجعل يمصها... ولكن لا شيء  
يَدُرُّ من الثدي للطفل...  
وَأَسْتَبِدُّ الخوف بالأم... على الطفل...

وجعل الطفل... يتلوى ويتلوى ويكي من الجوع  
والعطش...

ونظرت الأم من حولها... لا صوت... لا أحد... لا  
شجر... لا أنيس... بمن تستغيث!!؟

وتطلعت إلى جبل قريب منها... فصعدت عليه تنظر  
هل من مغيث!!؟

ولا مغيث!!!

فهبطت منه تهرول... حتى بلغت الجبل المقابل له...  
(المروة) وصعدت عليه... تنظر... هل من مغيث!!؟

ولا مغيث...

ثم تعود... فتصعد الصفا... وتنظر... ولا شيء!!!

فتجري... حتى تصعد المروة... ولا شيء...

هذا... سبعا!!!

وظفلها في مكانه... يموت!!!

وتحتم هنالك عندها... موت الطفل...

ثم موتها وراءه... بعد قليل!!!

هنالك ... وقعت المفاجأة ...

تفجرت زمزم ... تحت قدمي الطفل ...

عيناً ... تتفجر إلى يومنا هذا ... وإلى يوم القيامة!!!

معجزة ... من أجل عوينات إسماعيل ...

أبقاها الله ... قائمة حيث كان الطفل يموت ... إلى

يومنا هذا ... ليشهدها الناس جميعاً ...

وجعلها من مناسك الحج ... يشرب منها المعتمر ...

والحاج ...

في مائها شفاء وغذاء ...

تروي مئات الألوف من عُمَّار بيت الله الحرام ...

ومئات الألوف غيرهم ...

وستبقى إلى ما شاء الله!!!

كانت أم إسماعيل تتمنى قطرات ... تبل فم الطفل

ليس إلا ...

ففجَّرَ الله لها ... عيناً جارية ... تروي ملايين

الناس ...

وانظر كم من الملايين ازدحمت على زمزم... منذ  
فجرها الله إلى يومنا هذا... ثم إلى يوم القيامة... وهي  
تدهم جميعاً... بلا انقطاع!!!

والعجيب من الأمر... هو بقاء زمزم حتى الآن...  
هو بقاء معجزة إلهية... تشهدا العيون... مع أن  
المعجزات تنقضي بانقضاء وقوعها...

وهذا وجه من وجوه معجزة زمزم!!!

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا  
وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ .

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا  
وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ  
كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

فيه آياتٌ بيِّناتٌ!!؟

فيه معجزات واضحة... وضوحاً شديداً...

ومن أعظم هذه المعجزات الواضحات ... معجزة  
زمزم ... القائمة أمام عيونكم !!!

ما زلت أسأل: ما سر الصِّفا؟! !!

أمن أجل هذا كله ... يبكي الباكون والباقيات ...  
حين يطوفون بها؟! !!

إن هناك سرّاً ... مكنوناً ...

وإن من شعيرة من شعائر الله ... إلا من ورائها أسرار  
تجار فيها العقول ...

فما سر الصِّفا؟! !!

هناك سر ... مَنْ الله به ...

سر جديد ... جاء فجأة فبهرتني ... وأبكاني ... فكان  
البكاء إشارة إلى أمر غريب !!!

إن السر ... في بكاء كل من تطوف بين الصفا  
والمروة ... أو شهد من يطوف بين الصفا والمروة ... أو  
شهد الصفا والمروة ...

هل تدري لماذا يبكي الباكون والباقيات ...

لأن التي كانت تهزول بين الصفا والمروة...

كانت تبكي!!!

وما زال موج بكائها... يموج إلى يوم القيامة...

فكل من سعى بين الصفا والمروة... حيث كانت

تسعى... وكل من شهد الصفا والمروة... حيث كانت

تصعد...

وكل من شهد من يسعى بينها...

حتماً يبكي... لأن موج بكاء... أم إسماعيل... ما

زال يسري في المكان...

فتحتم أن يبكي... من فعل مثل فعلها...

أو شهد من يفعل مثل فعلها...

أو حتى شهد المكان ولم يفعل شيئاً...

أو حتى سأل عن المكان... لأنه بسؤاله... تداخل مع

الموجة الروحية السارية في المكان...

والموج الروحي... لا يقيد مكان ولا زمان...

انه أبدي... يموج إلى ما لا نهاية!!!

يا للمفتاح... فتح به العليم المفتاح!!!  
إنه يفتح لنا كثيراً... من أسرار مناسك الحج!!!  
أرأيت إلى مقام إبراهيم... الذي يقول فيه الله:  
﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ...﴾!!?  
لماذا صار هذا المكان منسكاً... يُصلى فيه!!?  
لأن موج الخليل... وموج إسماعيل... مازال يموج  
فيه...  
والموج الروحي... لا يزول... وإنما يسري إلى  
الأبد...  
فحقَّ على الناس... أن يصلوا حيث قام إبراهيم...  
ليمسهم من ذلك الموج!!!  
وكذلك منى... حيث... ﴿تَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صارت  
منسكاً... وأمر الناس أن ينحروا ذبائحهم فيها...  
لأن موج الفعلة العظيمة... مازال يموج فيها...  
فعلى الناس أن يدخلوا في تلك الموجه... ليمسهم من  
موجها!!!

مفتاح رهيب عجيب!!!

وإنما نفيض منه... إلى موضوعنا... موضوع  
الصفا...

لقد انكشف الآن ذلك السر الجميل...

لقد كنت أعجب وأعجب: ما الذي يبكيني كلما رأيت  
هذا الصفا... وهذا المروة... أو رأيت الطائفين  
والطائفات بينها!!؟

ويزداد عجيبي... أن امرأة تسألني عن الصفا...  
فتبكي وتبكيني معها!!!

فازدادت حيرتي: لماذا البكاء اللاإرادي!!؟  
هل هناك شيء خفي... يُرغم هؤلاء وهؤلاء على  
البكاء!!؟

وعدت من الحجج... فما رأيت أحداً إلا سألته: ما سر  
الصفا!!؟

فأسمع إجابات تقليدية... تزيدني حيرة على حيرة!!!  
ومكثت طويلاً... لا أجد إجابة...

حتى أذن الله... وفهمني ما سر الصفا!!!  
أن أم إسماعيل... كانت تبكي وهي تهرول بينها...  
وكلما استبد بها الخوف على رضيعها... ورأته يواجه  
الموت جوعاً وعطشاً... ولا مغيث... اشتد بكاءها...  
وأي بكاء... وماذا كانت تقول وهي تبكي!!?  
ها هنا مقامات لا تُحصى عدداً...  
ولا تتناهى أبداً!!!  
مقام الاضطرار... صعدت فيه أم إسماعيل... إلى  
أقصاه...  
ومقام الانكسار... عرجت فيه إلى منتهاه...  
ومقام الافتقار... ارتقت فيه... إلى ذروته...  
كلما أخذت بالأسباب... وسعت بحثاً عن مغيث...  
أغلقت في وجهها كل الأسباب!!! طفل يموت...  
امرأة لا تستطيع شيئاً...  
لا أحد... لا أمل...

ولا سبب إلا سعت إليه ...

تم الاضطرار ...

وتم الانكسار ...

وتم الافتقار ...

ولم يبق إلا البكاء ... فجعلت تبكي وتبكي  
وتبكي ...

إن وحيدها ... وأنيسها ... وأملها ... ونور  
فؤادها ...

يُقتل ... جوعاً ...

ولا مغيث!!!

فازدادت هرولتها ... وازداد بكاءها!!!

وأسلمت أمرها ... لله!!!

فلما أتمت مقام ... الإسلام ... لله ...

وأتمت مقام ... اليأس من الخلق ...

وأتمت مقام ... تقطع الأسباب ...

وأتم الطفل ... مقام ... القتل في سبيل الله ...

وأتمت هي ... بذلك مقام الحزن ... لله ...

وقعت المفاجأة ... من الله ...

وتفجّر الماء !!!

فتبدل الخوف أمناً ...

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...﴾ !!!

والبكاء حزناً ... إلى البكاء فرحاً ... بفضل الله ...

وهذا هو سر بكاء الباكين ... عند الصفا والمروة ...

إلا أن بكاءهم ليس حزناً ... وإنما مزاجه من تسنيم !!!

وتبدل موت الغلام ... إلى حياة ...

لقد قُتِل في الله ومن قُتِل في الله لا يموت !!!

وصار المكان الذي كان يموت فيه الطفل ...

منسكاً تجري منه الحياة ... وصار زمزم !!!

ما كانت أم اسماعيل ... تدري أن الله سيجعل سعيها

بين الصفا والمروة منسكاً ...

ولا أن الله... سيجعل ما فجر لها... منسكاً...  
يزدحم الناس عليه... ليظفروا بشربة من زمزم!!!  
وإنما من أجل عوينات إسماعيل...  
كان ما كان!!!

وما سرّ... المسجد... الحرام...؟!...

احساس عجيب...

ذقته... ولا أعلم له تفسيراً...

بمجرد دخولك... من أي باب من أبواب المسجد

لحرام...

يستولي عليك إحساس عجيب...

ما هو؟... لا أدري!!!

هل هو الأمن؟!...

هل هو الرحمة؟!...

هل هو السكينة؟!...

هل هو المغفرة؟!...

هل هو الأانس؟!؟

كلا... إنه شيء غير هذا كله... وأبعد من هذا  
كله...

فقد تجد كل أولئك في أي مكان من الأرض...  
وإنما الذي أحسسته بمجرد أن أضع قدمي بباب من  
أبواب المسجد الحرام... وبدون أي مجهود... أو صلاة أو  
دعاء أو توجه... أشعر فجأة... أنني تبديت تماماً...  
وخرجت تماماً من كل النواميس التي كنت فيها... إلى  
نواميس جديدة ليست من الدنيا في شيء...

كأنني قد ولدت ولادة جديدة... أخرجتني من  
الدنيا... إلى عالم جديد!!!

فما معنى هذا؟!؟

وما سر هذا؟!؟

شيء يحيرني حتى الآن... حتى أنني كنت كلما التقيت  
بأحد أثناء مناسك الحج أبادر فأسأله: ما سر المسجد  
الحرام؟!؟

فلما عدت إلى القاهرة... ما رأيت أحداً إلا سألته: ما  
سر المسجد الحرام!!؟

فلا أسمع إلا إجابات تضحكني... يعلمها الأطفال!!!  
سألت أحد العلماء بمكة: ما سر المسجد الحرام!؟  
فقال: أمرهم فأتاعوا... فقلت في نفسي: إنها إجابة  
تقليدية... لا تغني عني شيئاً!!!

إن مناسك الحج... شريعة...  
ولكل شريعة... حقيقة...

فما سر هذه المناسك الظاهرة... ما حقيقتها!؟  
وبالذات... هذا المسجد الحرام... الذي هو بمثابة  
الأم من جميع مناسك الحج... ما سره... ما حقيقته!؟  
ثم ما معنى «المسجد الحرام»... لماذا سمّاه  
«الحرام»...

حرام... من ماذا... ولماذا!؟  
دعني مما قيل في تفسير الحرام... بأنه الذي يحرم فيه  
المعاصي والاعتداء والقتال... إلى غير هذه الأقوال...

فهذا معلوم كله للأطفال... ولكن ما سر حرمة...  
وحقيقة حرمة!؟

ما سر هذا الشعور المفاجيء الذي يستولي على كل من  
دخله... ولو لم يفعل شيئاً أو يؤدي أي عبادة!؟

وجعلت أجرب... مرة ومرات... ربما يكون هذا  
الإحساس... لا يتكرر... ولكن في كل مرة أدخل  
المسجد الحرام... أفاًجأ بنفس الشعور...

كأني خرجت من الدنيا بنواميسها كلها... إلى عالم  
جديد لا أثر فيه للدنيا!!!

وتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم:

﴿مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وُلِدَتْهُ

أُمُّهُ﴾!!!

تأمل... قوله «رجع» هناك خروج من شيء إلى

شيء...

وتأمل قوله «كيوم ولدته أمه»... هناك ميلاد

جديد...

فلعل في هذا ما يشير إلى نفس المعنى...

ولكن لماذا يصنع المسجد الحرام هذا؟!

إن المسجد الحرام... من الوجه المادي... بناء من

حجارة وطوب...

فلا يُعقل أن الحجارة تشع على الناس هذا

الإحساس... وإنما هناك سر!!!

وبعد عودتي من الحج... وهذا الأمر يشغلني...

قرأت في الصحف بحثاً... هللت له وكبرت تكبيراً...

أنه ثبت لأحد كبار الباحثين... أن مكة تقع تماماً في

النقطة التي هي مركز الدائرة من الكرة الأرضية...

وفي النقطة التي هي مركز الدائرة من العالم القديم...

وفي النقطة التي هي مركز الدائرة من العالم الجديد

بعد اكتشاف الأمريكتين وأستراليا!!!

فطار عقلي شعاعاً!!!

ها هو سر واحد... يكشفه الله لأحد الباحثين...

ليذيعه على الناس... فيعلموا ما لم يكونوا يعلمون...

يعلمون أن الكعبة... ذلك البناء المكعب... يقع تماماً  
في النقطة التي هي مركز الدائرة من الكرة الأرضية!!!  
وأن إبراهيم لم يكن رجل مساحة وصفية ولا  
تصويرية... حتى يحدد مركز الدائرة من الكرة الأرضية  
بالسنتيمتر هذا التحديد الدقيق!!!

وإنما حدده الله الذي يعلم أين مركز الدائرة من الكرة  
الأرضية بالضبط...  
وتذكرت قوله:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ...﴾!!!

وَإِذْ عَيْنَا... وَبَيْنَا... لِإِبْرَاهِيمَ... مَكَانَ الْبَيْتِ...  
مَكَانَ الْكَعْبَةِ...

وتأمل تعبير «مَكَانَ» إنه يشير إلى تحديد المكان  
بالمليمتر أو ما هو أقرب من المليمتر!!!

هذا مستحيل أن يصل إليه بشر... منذ أربعة آلاف  
سنة... يوم شرع إبراهيم في إقامة البيت... يوم كانت  
البشرية بدائية لا تستطيع للكرة الأرضية قياساً!!!

إذا الكعبة... تقع فوق مركز الدائرة من الكرة  
الأرضية تماماً!!!

وهذا سر رهيب... يكشف سراً باطنياً!!!

أن مركز الكرة الأرضية يتحتم أن يكون الإبرة التي  
تلتقط التجلي الإلهي... ليتوزع منها إلى أنحاء الكرة  
الأرضية كلها بالتساوي!!!

فلا يخاف أحد في الكرة الأرضية... مهما كان موقعه  
من الأرض... ظلماً في نصيبه من التجلي... ولا هضماً!!!  
الله أكبر!!!

وها هنا يتلالي إشعاع من قوله تعالى:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ

﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ...﴾!!!

الكعبة... هذا المكعب...

البيت الحرام... النقطة التي حرمانا على القوى  
المضادة للإنسان... أن تتداخل فيها مع التجلي الإلهي...  
هي بمثابة قلب العارف... يتجلى الله عليه... ويجرم

على الشياطين والقوى المضادة... أن تدخل إليه...  
كذلك الكعبة في الأرض...

قلب العالم... يتجلى الله عليها... فتتشعشع منها  
الأنوار والبركات والأمواج إلى أنحاء الأرض...

قياماً؟!... حياة... سر حياتهم... سر حياة  
قلوبهم...

مركز التجلي المركز...  
للناس؟!... لجميع الناس...

ومن هنا يتشعشع سر آخر...

أنه يلزم... لكل قلب يتوجه إلى الله... في أي بقعة  
من الكرة الأرضية... أن يتوجه إلى مركز التجلي  
الإلهي... إلى الكعبة!!!

الله أكبر... زدنا ولا تنقصنا!!!

وصدر الأمر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم... وإلى الناس كافة:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾!!!

فلنوجهنك إلى قبلة ترضاها... يهوي إليها فؤادك...  
وتحبها حباً تاماً...

﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ...﴾!!!

فَوَلِّ وَجْهَكَ... فَوَجِّهْ وَجْهَكَ... ووجه قلبك...

شَطْرُ

خطيرة جداً جداً... أخطر الأغيار... وشقها شقاً  
وائتنا فوراً...

المسجد الحرام؟!... الكعبة... هذا المكعب...

حيث ينزل التجلي... ويتشعشع إلى جميع الجهات...

فتتحتم كذلك... أن تتجه جميع الوجوه... إليها...

لتندمج في إشعاعاتها...

إنها بمثابة النواة من الذرة...  
إلى الكعبة... تتوجه جميع الوجوه في الأرض...  
وجوه المتوجهين إلينا...  
ومن الكعبة... تتوجه جميع التجليات النازلة  
عليها... إلى جميع القلوب المتوجهة في الأرض...  
فكان المصلي... حين يتوجه في صلاته إلى الكعبة...  
إنما يدخل في جميع موجات المصلين حيثما كانوا من  
الأرض... فيمسه من بركاتهم...  
وكذلك هو حين يتوجه إلى الكعبة... يبعث بموجته  
إلى النواة فيتوزع منها... إلى جميع المصلين...  
عملية اندماج واندماج... الفرد في الكل... والكل  
في الفرد...

إشارة إلى أصل الوحدة... كلم من آدم!!!  
ولعل هذا هو سر ما أمرت الشريعة أن يستقبل  
الإنسان القبلة في دعائه... في جلوسه... في نومه... حتى  
في موته...

ليمسه من اشعاعاتها الصادرة منها... والواردة

إليها!!!

نواميس عجيبة... ولكنها حق!!!

لقد بدأنا والحمد لله... نفهم شيئاً قليلاً عن سر

الكعبة!!!

إنها مركز الكرة الأرضية...

ومركز التجلي الإلهي دائماً... ليتوزع منها على جميع

القلوب في الأرض...

ومركز تجمع التوجهات كلها... حيثما كانت من

الأرض...

ولذلك عاد فقال:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ...﴾

ثم عاد فقال:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ﴾

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾ !!!

حيث ما كنتم فولُّوا وجوهكم... إلى مركز التجلي...  
كما تتوجه وجوه المركز التي هي كالنواة إلى جميع  
أنحاء الأرض !!!

وها هنا تبدأ أسرار الحرمة تتلالي...  
فالمركز الأعظم حرمة على الإطلاق... لأنه يتلقى  
التجلي دائماً...

فالكعبة... هي البيت الحرام... ﴿الكَعْبَةُ الْبَيْتَ  
الْحَرَامِ﴾...

ثم يليها في الحرمة... أقرب الدوائر إليها... وذلك  
هو المسجد المحيط بها...

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾...

ويليه في الحرمة... أقرب الدوائر من حوله... وتلك  
هي مكة...

فتحتم تحديد هذه الدائرة... فكانت معالم الحرم  
المكي... وتحددت بالأمر الإلهي...

وصار هناك ما يسمى بالحرم المكي... له معالم

محددة...

ونفهم هنا لماذا حرّم الله مكة يوم خلق السماوات

والأرض!؟

لأنها أقرب الدوائر المحيطة بالمسجد الحرام... المحيط

بالبیت الحرام...

وتحتم أن تكون هذه الدوائر محرمة...

فلا قتال... ولا اقتتال... ولا اعتداء...

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾!!!

لماذا!؟!!

لأن هذه الدائرة موضع التجلي الإلهي الدائم...

فلا يجوز أن تتداخل موجات مضادة... لموجات

التجلي الخالص...

ويتحتم على من أراد الحج إلى هذه الدائرة...

أن يتطهر كذلك من كل موجة مضادة... تصدر عن

الإنسان... فلا شهوات... ولا معاصي... ولا جدال...  
ومادامت هذه الدائرة حرام... على الموجات  
المضادة...

فيتحتم أن لا يدخل إنسان إليها... يريد التوجه إلى  
الله... بحج أو عمرة... إلا محرماً...  
وهو ما يسمى بملايس الإحرام...

ومتى أحرم... حرم عليه العصيان ظاهراً وباطناً...

فإن تعمد المعصية ضوعف له العذاب فوراً...

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ

الْأَلِيمِ﴾

ومن يُرِدْ؟!!!

ومن تصدر عنه موجة مضادة... لموجة التجلي  
الخالصة النازلة على الكعبة... دمرناها فوراً... وأذقناه  
عذاب المضادة...

وهذا يفسر لماذا دمر الله... أصحاب الفيل... حين  
جاءوا للإعتداء على الكعبة!!!

ولماذا وُلد صلى الله عليه وسلم في مكة ...  
في داخل دائرة الحرم المكي ...  
ولماذا بدء نزول جبريل بالوحي على مكة؟!  
ولماذا كانت أحب بلاد الله إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم؟!  
إنها الدائرة المحرمة ... التي بداخلها دائرة المسجد  
الحرام ... الذي بداخله البيت الحرام ...  
فهي الدائرة الآمنة تماماً ... التي تتلقى التجلي  
أولاً ... وقبل أي بقعة في الأرض ...

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ .

وبعد هذه الدائرة ... دائرة الحرم المكي ...  
ترتفع الحرمة ... وتصير الأرض مباحاً!!!  
وتفهم بعد ذلك ... لماذا حرم الله أن يدخل مشرك أو  
كافر إلى الحرم المكي ...  
﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

لأن المشرك ... موجة مضادة ... لموج الإيمان ... وموج  
التجلي النازل على الكعبة ...

فيحرم أن يدخل هذا المشرك إلى الحرم المكي ...  
﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

أي موجة مضادة ... فيجب إبعادها عن هذا المكان  
تماماً ...

لتبقى موجة التجلي خالصة من كل شوب ...  
فلا يضادها شيء ...

فينعم بها المؤمنون خالصة .

﴿ وَلَا تُتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ !!!

أي تنعموا بأموج التجلي خالصة ... لا مضادة  
فيها ...

ليكون المسجد الحرام ... أول تشعشع للتجلي الإلهي  
الذي يتنزل على الكعبة ... ليكون ذلك التشعشع خالصاً  
من كل تضاد ...

ومتى كان الموج خالصاً ... كان نعيماً ... وأمناً مقيماً ...

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ !!!

الله أكبر... زدنا... ولا تنقصنا !!!

فالكعبة... البيت الحرام...

أعظم الأماكن حرمة على الإطلاق...

ثم المسجد الحرام...

ثم الحرم المكي...

أولئك الأماكن العلى...

فإذا نظرت ثم نظرت... رأيت الطائفين

والطائفات... يطوفون من حول الكعبة...

أي يوجون مع أول موج لها...

فيمسهم... من رحيقها المصفى... وسلسيلها

المركز !!!

وهم في طوافهم... سكارى بخمر ليس كمثلهما خمر...

يدورون من حولها ويدورون... وهم من أنسهم لا

يشعرون !!!

صعدت ذات مرة إلى الطابق الثاني للمسجد  
الحرام... وجعلت أنظر ليلاً إلى منظر الطائفين حول  
البيت الحرام... حول الكعبة...

فرأيت منظرًا يهيم فيه الفؤاد... ولا تسعه  
العبارات!!!

موج... موج حقيقي... موج حول الكعبة...  
موج لا نهائي... لا تدري البداية من النهاية...  
لأن الدائرة لا تنتهي!!!

وهذا سر آخر...

تحية البيت الطواف...

والطواف يرسم دوائر لا تتناهى...

إشارة إلى اللانهاية...

إشارة إلى المطلق...

والمسجد الحرام... هو المسجد الأوحده... في الكرة  
الأرضية... إلى يوم القيامة...

الذي تقوم فيه الصلاة... دوائر... من حول  
الكعبة...

إشارة إلى أن ها هنا... التجلي الإلهي...  
والتجلي الإلهي... لا نهاية له...

وها هنا العطاء الإلهي... والعطاء الإلهي لا  
يتناهى...

وها هنا الإشارة إلى الصفات الإلهية... والصفات  
الإلهية لا تتناهى!!!

رأيتهم ليلاً يطوفون...

فتشعشع الفؤاد معهم... شعاعاً!!!

وهتفت: سبحانك... ما أعظم بيتك!!!

وما أعظم ما شرفت هؤلاء... حين اخترتهم ليطوفوا  
حول بيتك!!!

وقلت: محروم محروم محروم... من استطاع الحج ولم  
يحج!!!

إن لحظة واحدة... وأنت تشهد هذا المشهد

العجيب... تعدل الدنيا وما فيها ومن فيها!!!  
ما كنت أظن أن منسك الحج... يبلغ هذا المبلغ من  
العظمة والبهاء والفخامة والضحامة!!!

منسك عظيم عظيم عظيم...

جميل جميل جميل...

جليل جليل جليل...

وأدركت وأنا أنظر إلى الكعبة... زادها الله شرفاً...  
أن الكعبة إنما شرفت... لأنها موضع التجلي  
الإلهي...

وإنما نعظمها تعظيماً للتجلي الإلهي...

ونحبها حباً للتجلي الإلهي...

ونتوجه إليها... التماساً للتجلي الإلهي...

وتهوي أفئدتنا إليها... من شوق أرواحنا... إلى

نسائم التجلي الإلهي...

كان الطائفون... موجاً حقيقياً يموج...

وددت لو صَوَّرُوا بوسائل التصوير السينمائي الملون ذلك  
المنظر ... وعرضوه في أنحاء العالم ...

إنه منظر فريد وحيد... لا مثيل له في أي مكان من

العالم ... .

ولا في أي عبادة من العبادات ...

وهل هي إلا كعبة واحدة!!؟

الليل ... في المسجد ... الحرام ...!؟

كان الوقت ...

قبيل أذان العشاء ... بالمسجد الحرام ...

والازدحام إلى أقصاه ...

مئات الألوف ... من الرجال والنساء ...

يجلسون في المسجد الحرام ... بحيث لا تجد شبراً ...

تأوي إليه ...

فصعدت إلى سطوح الطابق الثاني ... التمس فراغاً

أوي إليه ...

فكانت فرصة أتاحتها الله لي ... لأشهد عجباً .

على السطوح ألوف من الحجاج والحاجات ... صعدوا

إليه يلتمسون ما التمس...  
إلا أن المساحات الخالية كانت واسعة... فبسطت  
المصلى بعيداً عن الناس...  
أفكر في أمر عجيب...  
وكان الجو المحيط بي ظلاماً... حيث لا إضاءة...  
ففرحت ببعدي عن الأنوار التي تتوهج في الطابق  
الأول والثاني...  
وكانت خلوة خلوة...  
إلا أنني أحسست شيئاً عجيباً...  
إن هناك أمواجاً... تشعر بها... ولا تراها بالعين...  
أمواجاً لا تنقطع... تنزل على الكعبة...  
كأني أراها... ولكني لا أراها!!!  
ولو كُشط الحجاب... لرأيناها عياناً!!!  
لست أتخيل... فإني أبغض الخيال...  
ولا أتصور... فإن الكذب على الله... جريمة  
كبرى...

وإنما رأى قلبي هذا ...

رؤية بعين الفؤاد ...

فلما توجهت بقلبي ... إلى هذه الأمواج ...

أحسست أن الله ... قد فتح الأبواب ...

وكانت ساعة ... خيراً من الزمان إلى قيام الساعة ...

أنا أناديه ...

فأجده أسرع إليّ من نفسي!!!

وأنا أناجيه ...

فأسمع هاتفاً من داخلي: ماذا تريد يا عبدي!!؟

فأقول: لا شيء ... لا شيء ... أريدك أنت!!!

وجعلت الحجب ترتفع حجاباً حجاباً ...

والأبواب تتفتح باباً باباً ...

ووجدتني معقول اللسان ... مطلق الجنان ...

وتذكرت ﴿آيَتِكَ إِلَّا تَكَلَّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ

سَوِيًّا﴾!!!

إن إحساسي الآن...  
أني لا أرغب البتة في كلام الناس!!!  
بل لا أرغب في الدعاء...  
لأن الدعاء أهواء...  
وفي حضرة الله... ينبغي أن تسكت أنت...  
لأنه معك...  
ومتى كان معك...  
فكل شيء معك...  
فإذا تطلب بعد ذاك يا مجنون!!?  
وتلالي الوجود كله...  
وتعالى الإحساس بالسعادة... ولا رغبة عندي في  
أداء أي عبادة!!!  
ما هذا الحال!!?  
حال كنتُ فيه... ولا أدريه!!!  
ومن خوفي أن يزول عني هذا الحال... كنت أرحب

يبعدي عن الناس... وبعد الناس عني... إلا أنهم بدءوا  
يتزاحمون من حولي!!!

فقلت: لو طالت هذه اللحظات... فامتدت إلى  
الأبد!!!؟

أقسم بالله الذي لا إله إلا هو...

إن لحظة... مع الله... لا شيء يعدلها... في  
الوجود!!!

لأنك فيها تتفكك من الزمان والمكان... وتنطلق في  
بجر الوحدة اللانهائي...

فتنعم بكل ما في الوجود من نعيم... وأنت مكانك  
مقيم!!!

وكانت ساعة... ليته دامت إلى قيام الساعة...

وارتفع صوت المؤذن في المسجد الحرام... ينادي  
بصلاة العشاء...

فقطعت الشريعة... خيوط الحقيقة!!!

بَيْتِي...؟!!

يطربني...

طرباً شديداً... قوله تعالى:

﴿بَيْتِي...!!!﴾

وأشعر فيها بجنين عجيب... إلى ذلك البيت...

الذي شرفه الله... ذلك الشرف العجيب!!!

تأمل معي قوله:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي

شَيْئاً وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ.﴾!!!

بَيْتِي...?!!

شرف ليس كمثلته شرف ... لحق البيت ... حين نسبه  
الله إليه ... واختصه بذلك الاختصاص !!!  
بَيْتِي ؟ !!!

ها هنا تجدونني ... وتستضيفوني ... وتسالوني ...  
وتدعوني ...

ها هنا أتجلى ... فموجوا من حول التجلي ...  
كما تموج الملائكة ... من حول العرش ...  
﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ ... ﴾  
جعلت لي عرشاً ... في الأرض ...  
أتجلى فيه ...

فطوفوا من حوله ...  
﴿ بَيْتِي ... لِلطَّائِفِينَ ﴾  
وتأمل ... تلاصق ... بيتي ... وللطائفين ... تدرك  
العجب العجاب !!!  
أي طوفوا ... من حول هذا العرش ... الذي جعلته  
في الأرض ...

رحمة عظمى... لا تنقطع... تمد كل طائف حولها  
امدادا...

وكل متوجه إليها... أبدا!!!  
أصب على الكعبة رحمتي صباً صبا...  
فعبوا منها... عباً عباً...

طوفوا وطوفوا... حولها... واسبحوا في بحرها  
المواج... وسبحوا تسبيحا!!!

إن الكعبة... هي الحضرة...  
وفي الحضرة... تُرفع التكاليف...

تجد ذلك مكنوناً في تشريع... أن تحية البيت  
الطواف... أي لا تكليف!!!

وانه يجوز في الطواف الكلام...

أي لا تكليف!!!

الله أكبر!!!

وإنما شرعنا لكم الطواف من حوله سبباً...

تخفيفاً... عنكم... لأنكم ما زلتم محبوسين في  
أشباحكم...

ولو كنتم أرواحاً بلا أشباح... ما كفتم عن  
الطواف...

كذلك تفعل الملائكة من حول العرش!!!

فإذا ما أتمتم الطواف سبعاً...

كان عليكم أن تصلوا ركعتين في مقام إبراهيم...

إشارة إلى أن أقرب مقام... إلى الله... هو مقام

إبراهيم...

مقام التجريد التام...

حيث لا شيء فوق الإنسان الكامل... إلا الله...

فمن جاءني... عليه أن يأتيني... من مقام

إبراهيم...

من موج إبراهيم...

فهو أقرب موجة... إلى الله...

لا وسائط... لا حجب... وإنما رأساً... إليّ!!!

ولذلك كان مقام إبراهيم أول مكان بعد المطاف  
مباشرة... يلقاك ...

البيت... في الوسط...

من حوله... المطاف...

ثم مقام إبراهيم...

فإذا فرغت من الطواف... صليت ركعتين في مقام

إبراهيم!!!

إشارات عجيبة!!!

أول مرتبة عبادية تكليفية... بعد الطواف... مقام

إبراهيم...

لنتعلم أن موجة إبراهيم... هي أحب موجة إلى

الله...

وأصفى موجة...

وأعلى موجة...

الموجة المصفاة تماماً... من كل شرك... ومن كل

حجاب... ومن كل أسباب!!!

وهذا يفجر لك أسرار... لماذا إبراهيم بالذات... هو  
الذي يرفع القواعد من البيت... لماذا هو وليس أحد  
سواه!!؟

لأن إبراهيم هو الموجة العليا... في التوحيد  
والتجريد والتفريد والتفريد!!!

والمؤمنون... بلابل الحضرة...

والكعبة... رمز للحضرة...

وكل مؤمن أو مؤمنة... عصفور من عصافير

الحضرة...

فإذا غرّدوا... فينبغي أن يغرّدوا كما كان إبراهيم

يغرّد...

لأن إبراهيم... هو أحب موجة إلى الله...

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

تجد ذلك مكنوناً في بداية الآية:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾!!!

هل فهمت القضية... أخطر قضية؟!  
أي... يا بلابل الحضرة... غرّدوا... لي... كما كان  
خليلي يُغرّد... لي!!!  
حَنِيفاً؟!!!!  
رأساً... إليّ...

فأنا أقرب إليكم من حبل الوريد... لو تفهمون!!!  
ولكي نفهم ذلك... كان أول مكان بعد المطاف  
يلقاك هو مقام إبراهيم...  
وأمرك أن تصلي فيه ركعتين...

تدريباً لك... على أن عبادة الله... ينبغي أن تكون  
على موجة إبراهيم...  
موجة الحنيفية...  
« حُنَفَاءَ لِلَّهِ »!!!

وعَلَّمَنَا رسول الله... صلى الله عليه وسلم... ذلك  
عملياً...

فبعد أن طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت سبعاً...

تَوَجَّهَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ... وتلا قوله تعالى:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...﴾

ثم صلى فيه ركعتين!!!

من هنا نفهم... لماذا إبراهيم بالذات... هو الذي

يرفع القواعد من البيت!!؟

إشارة... إلى أن أعلى موجة توجه... هي الموجة التي

تكون على مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ...

ومن حيث أن هذا البيت... هو المجلى الأعظم في

الأرض...

فينبغي أن يكون الذي يرفعه... هو أعلى موجة

توحيدية في الأرض آنذاك... وذلك إبراهيم...

وسلك الله بإبراهيم جميع الاختبارات التي تؤكد علو

مرتبته تأكيداً...

الإلقاء في النار...

رفض وساطة جبريل ... عند ذاك ...

الغربة عن الوالد ... والوطن ...

ثم عن الابن ... إذ تركه وحيداً بوادٍ غير ذي زرع ...

ثم ذبح الابن ...

فلما أتم إبراهيم تلك الاختبارات كلها ...

وظهر للناس جميعاً ... أنه ليس أحد أعلى إخلاصاً

وتوحيداً وتجريداً من إبراهيم ...

أمره ... أن يرفع القواعد من البيت ...

إشارة ... إلى أن بيته ... ينبغي ألا يرفعه إلا اليد

العليا توحيداً وتجريداً ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله :

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ...﴾ !!!

لأن أحق الناس ... بقيادة الناس ... إلى الله ...

أعلاهم. توحيداً لله ... وذلك إبراهيم !!!

ومن هنا صدر الأمر ...  
باتباع مِلَّة إبراهيم ...  
والملة ... هي الأسلوب ...  
أي موجة إبراهيم !!!  
تلك الموجة الأعلى ...

وكانت الإشارة إلى ذلك كله ... أن أول مكان بعد  
المطاف ... وأول عبادة ... ركعتان في مقام إبراهيم !!!  
ورفع إبراهيم القواعد من البيت ...  
ليكون ذلك البيت ... خالصاً لله ...  
بناءً ... فمؤسسه إبراهيم ... وما أدراك ما إبراهيم !!؟  
والذي أعانه ... إسماعيل ... وما أدراك ما  
إسماعيل !!؟

الذبيح ... مرتين ...  
مرة ... حين أوشك على الموت ... قبل أن تتفجر  
زمزم ... فكأنه قد ذُبح ...

ومرة أخرى... حين أسلم... حين ﴿وَتَلَّهُ  
لِلْجَبِينِ﴾...

فهو الذبيح... المصفي...

هاتان هما اليدان... المطهرتان... اللتان كانتا  
ترفعان القواعد من البيت!!!

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾!!!

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾!!!؟

موج شععاني. قُدُساني... سُبحاني... يتعالى من

فؤاد الخليل... وفؤاد الذبيح!!!

يا لها من لحظة!!!

لحظة... قام فيها الخليل... يرفع القواعد...

وإسماعيل!!!

بأبي أنت وأمي... يا خليل الله...

ويا ذبيح الله...

لو رأيتكما ساعتها ... لقبَّلت منكما الأقدام ...  
وما لي ألا أُقبِّل قدماً قامت ... ترفع القواعد من  
البيت؟!!!

إن في الزمان لحظات ... تشرف فوق كل لحظة ...  
وهذه لحظة تعلو على كل لحظة!!!

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؟!!!

موجها يموج ... من الأزل إلى الأبد ...

هدَّاراً ... جباراً ... يهدر إلى الله!!!

فهل تَقَبَّلَ منها؟!!!

وأي تَقَبُّل؟!!!

ها هنا تتكسر الأقلام ... وتجمد العبارات ...

ويستحيل التعبير!!!

أي شرف هو أعظم من ذلك الشرف؟!!!

أشرف من على الأرض ... إبراهيم وإسماعيل ...

يرفعان القواعد ... من أشرف بيت في الأرض ...

في أشرف ساعة من الزمان ...

لأشرف غاية من الغايات

تجد ذلك مكنوناً في قوله :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا  
وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ  
آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا  
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .

سلاسل من الشرف تتوالى وتتلالى وتتعالى ... لا  
تتناهى ... ولن تتناهى !!!

لقد تقبلَ الله منها ...

وصار البيت ... أشرف بيت ... إلى يوم القيامة !!!

بَيْتِي ؟ !!!

أي شرف ناله ... بيت من بيوت الله ... مثل ذلك

الشرف ؟ !!

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ !!؟

والأولية هنا ... ليست أولية زمانية ...

فالأولية الزمانية لا قيمة لها ...

وإنما المراد ... أعلى بيت ... وأسمى بيت ... وأشرف

بيت ... وأفضل بيت عندنا ... هو هذا البيت ...

ولذلك يعبر عنه بقوله «الْبَيْتِ» إشارة إلى أنه هو

البيت الحقيقي أن يسمى «البيت» ...

«بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» ... من كل ما حرمه الله ...

«عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» !!!

فهو البيت ...

وهو البيت العتيق ...

وهو البيت المحرم ...

وهو قبل ذلك ... وبعد ذلك ...

«بَيْتِي» ...

فصار ... «أَوَّلَ بَيْتٍ» !!!

أشرف بيت !!!

وآية شرفه ... أن كل من قصده ...

كل من حج البيت ...

تعظيماً لله ... « رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ...

فلعلك تفهم !!!

سرّ... قوله... « حُجُّ الْبَيْتِ »...؟!...

رُكُزٌ مَعِيَ ...

تفكيرك كله... فإن الأمر خطير خطير!!!

لماذا قال الله:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ...﴾

ولم يقل مثلاً... حُجُّ الصفا... أو حج المسجد  
الحرام... أو حج عرفة... أو حج المزدلفة... أو حج  
مِنَى... أو حج مكة مثلاً؟!...

لماذا رُكُزَ على البيت... بالذات؟!...

إشارة إلى أن قصد « الْبَيْتِ »... هو الهدف الأمّ...  
من منسك الحج كله...

وأن سائر المناسك كلها... فروع لهذا الهدف...  
فالمراد أولاً... وأخيراً... هو «الْبَيْت»...  
تجد ذلك مكنوناً في إشارات مناسك الحج...  
فأول ما يفعل القادم للحج... طواف القدوم...  
يطوف بالبيت سبعا...

كأنه يقول لله: ها قد أتيت يا رب!!!

وأوسط المناسك... وبعد أن تفرغ من عرفات...  
ومِنَى...

عليك أن تقدم إلى البيت... وتطوف طواف  
الإفاضة... ولا يحل لك أن تتحلل التحلل الكامل...  
حتى تطوف بالبيت سبعا... طواف الإفاضة...

فإذا فرغت من مناسك الحج... وعزمت على الرحيل  
من مكة...

عليك أن تطوف بالبيت سبعا... وهو ما يسمى  
بطواف الوداع!!!

فافهم... فالإشارات تتلأأ... لكل ذي عينين!!!

فما سر ذلك كله !!؟

سره أن البيت ... هو الأم ...

﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾

فمكة أم القرى ... أم المدن والقرى كلها ... في سائر

أنحاء الأرض ...

والبيت أم الأم ... مركز المركز ...

نواة الذرة ...

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ...﴾

وبكة هي البقعة ... التي تقوم عليها الكعبة ...

هذه النقطة ... هي مركز المركز ...

عليها يتنزل التجلي ...

ومنها يتوزع على المسجد الحرام ...

ثم على مكة ...

ثم على سائر أنحاء الكرة الأرضية ...

والعكس صحيح تماماً ...  
كل المساجد ... في الأرض ... قبلتها الكعبة ...  
وجوه المصلين جميعاً ... تتوجه إلى الكعبة ...  
﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾  
في أي مكان كانوا من الأرض ...  
وفي أي وقت كانوا من الليل أو النهار ...  
فالكعبة مرآة التجلي الإلهي الدائم ...  
والوجوه كلها تتوجه إليها ...  
وذلك التجلي ... تجلي رוחي ...  
يرسل أمواجه إلى سائر الأنحاء ...  
والمؤمنون والمؤمنات ... حين يتوجهون إلى الله في  
الصلاة ... إنما يتوجهون بأرواحهم ...  
والأرواح تنجذب أوتوماتيكياً ... إلى التجلي  
الروحي ...  
وهذا هو سر الأمر ...

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ...

والمقصود بتوجيهه الوجه... توجيه القلب...  
باطناً...

توجيه الروح... إلى حيث يتنزل التجلي...

والروح لا يقيدتها زمان ولا مكان...

فحيثما كنت... ووجهت قلبك إلى... البيت... مسك  
من إشعاعها الروحي... المتشعشع دائماً...  
فأصابك منه ما قسم الله لك...

ومن حيث أن جميع... المصلين مفروض عليهم أن  
يتوجهوا نحو الكعبة...

وأن مواقيت الصلاة... تختلف في كل مكان  
بالأرض... عن غيره من الأماكن...

فمعنى هذا أن هناك باستمرار ألوف من المصلين...  
تتوجه في كل لحظة إلى الكعبة... من ليل أو نهار...  
ومن حيث أن الكرة الأرضية في دوران دائم... ليلاً  
ونهاراً...

فإن هؤلاء الألوفا... في كل لحظة... دائمي التوجه  
بوجوههم ظاهراً... وأرواحهم باطناً إلى الكعبة...  
الوجوه... من باب التنظيم الظاهر... تنظيم  
الأبدان...

والأرواح... من باب التنظيم الباطن... تنظيم  
القلوب...

وتتجمع التوجهات من سائر أنحاء الأرض... في كل  
لحظة... لتتحد في الكعبة... وتتصاعد كلها شحنة  
واحدة... إلى ربها...

كما ينزل التجلي عليها... كلياً... ليتشعشع منها  
جزئياً... إلى جميع القلوب!!!

وهنا تفهم إشارة عجيبة في قوله صلى الله عليه وسلم:

« وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً »

كل الكرة الأرضية... بهذا المفهوم... مسجد  
واحد... موزع عليه... المصلون جميعاً... بحيث يتوجه  
في كل لحظة منهم عددٌ ما... إلى مركز الأرض... إلى  
الكعبة!!!

وناداك الله... إلى « حجّ البيت »...  
في فريضة الحج... لنشهد هذا البيت...  
لترى هذه النقطة... التي تتوجه إليها جميع  
الوجوه... في أي مكان من الأرض...  
ليمسك من شحنتها الروحية المركزة...  
فتزداد سعادة... وبهجة وأنسا!!!  
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...﴾!!!

الأسرار... تتداعى...؟!!

الحمد لله...

الأسرار... تتوالى... وتتداعى... بفضل من الله!!!

تدري: لماذا ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؟!!

لأن الاسم «السَّلَام»... يتجلى في المسجد الحرام!!!

نلتقط ذلك من مفاتيح شتى!!!

بعد أن تفرغ من صلاتك... يُسَنُّ أن تقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»...

فافهم الإشارة الهدّارة...

الصلاة حال توجه إلى الكعبة...

تخرج منها بقولك ... السلام عليكم ورحمة الله ...  
وتُعقب عليها بقولك ... اللهم أنت السلام ...  
فلو تصورت ملايين المصلين ... في كل لحظة ... كل  
منهم يخرج من صلاته ... أي من توجهه إلى المسجد  
الحرام ... بقوله: السلام عليكم ...  
ويعقبون على صلاتهم بمناجاة الله ... اللهم أنت السلام  
ومنك السلام ...

لفهمت أسراراً عجباً!!!

إن هذه الشعاعات التي كانت تصلى إلى الكعبة ...  
ظفرت بإحساس السلام ... فكان خروجها ... من توجهها  
إلى الكعبة بقولهم: السلام عليكم ...

أي: السلام ... تَجَلَّى عليكم!!!!!!

فلما ناجوه ... نادوه باسمه المتجلي عليهم آنذاك: اللهم  
أنت السلام ومنك السلام!!!

وتتوالى المفاتيح العُلَى!!!

أن الإسم «السلام» يتجلى على الكعبة ... فيشرق

نعيمه أول ما يشرق على الدائرة التي من حولها... على  
المسجد الحرام!!!

فالكعبة مجلى... الاسم السلام...  
والمسجد الحرام... يسبح في أمواج الإسم السلام...  
فطوبى لمن دخله:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾...

بمجرد أن تدخل... تسبح فوراً في أمواج الاسم  
السلام...

وهذا هو سر اللذة... والأمن... والطمانينة...  
والفرحة... والرضى... وقل ما شئت... فلست يبالغ  
شيئاً إلا أن تذوق!!!

وماذا أنت ذائق!!؟

ما تذوقه أنت غير ما يذوقه أحد سواك!!!

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضْلُ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ فِي  
الْأَكْلِ﴾!!!

آه... لو رأيت أكثر من مليون... امرأة ورجل...  
كالبنيان المرصوص... في المسجد الحرام...  
مشدودون جميعاً... إلى الكعبة...  
لا يبغون عنها حِولاً...  
لماذا؟

ما هذه القوة الخفية التي تشدهم شداً مغناطيسياً إلى  
هذه الكعبة!!؟

إن الواحد منهم يجلس الساعات لا يملّ... ولا يسمح  
لأحد أن يزحزحه من مكانه!!!

إنه الاسم السلام... يتجلى على الكعبة...  
ومن هنا تفهم: لماذا النظر إلى الكعبة عبادة!!؟  
لماذا الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة!!؟  
بل أقول: يضاعف الله لمن يشاء...

إن صلاة في المسجد الحرام... قد تساوي أحياناً...  
ما لا يتناهى من الصلوات في أي مكان آخر من  
الأرض!!!

لماذا؟!!!

لأنك تصلي في الجنة...

لأن الاسم السلام... إذا تجلى في مكان... حوله إلى

جنة...

ومن هنا سميت الجنة «دار السلام» أي المكان

الذي يتجلى فيه الاسم السلام...

وأراد الله أن يمن على أهل الأرض...

فجعل لهم من الأرض مكاناً... يتجلى فيه اسمه

السلام... ليكون جنة معجلة لهم ها هنا...

ودعاهم إلى دخولها... لينعموا بنعيمها... نعم

التجلي للاسم السلام...

ولعل هذا هو سر... ذلك الإحساس العجيب...

الذي تحسه بمجرد دخولك المسجد الحرام...

لأنك قد دخلت الجنة... وأنت لا تدري!!!

سبحانك ربي... إن أسرار المسجد الحرام... لا تريد

أن تتناهى!!!

﴿لَا أْبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ  
حُقُبًا﴾

سأظل أسير وراء هذه الأسرار... حتى يأذن الله لي  
بفهم فيها!!!

تجد الإشارة كذلك إلى أن المسجد الحرام... مجلى  
الاسم السلام... في طريقه اعداد الرجلين اللذين سيوكل  
اليهما... رفع القواعد من ذلك البيت.

ويتخلص اعدادها في قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا﴾...

فلما بلغنا أقصى مراتب الاسلام لله...

فلما أصبحنا... صالحين لتجلي اسمنا السلام...

أذنًا لها... في رفع القواعد... من البيت الذي

جعلناه مجلى... لاسمنا السلام!!!

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلُ﴾!!!

الرجلان اللذان... تجلى عليها اسمنا السلام...

«سَلَامٌ عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ»

ها اللذان... يرفعان القواعد من البيت الذي  
جعلناه للناس... مجلى لاسمنا العظيم...

فلما تجلى اسمنا السلام على البيت... كان...

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾...

غمر السلام... بأواجه كل من دخل المسجد

الحرام!!!

ها هنا... الجنة!!!

ها هنا... المسجد الحرام!!!

ولعلك تفهم الآن... لماذا تخرج من جميع نواميس

الدنيا... بمجرد دخولك المسجد الحرام!!؟

لأن ها هنا... نواميس أخرى... نواميس الجنة...

لا لغو فيها ولا تأثيم...

وكذلك المسجد الحرام...

أمواج الطائفين... والعاكفين... والقائمين... والركع

السجود...

تموج فيه أبدا...

وألبسهم ملابس الاحرام...

تشبهاً بأهل الجنة... حيث لا تفاضل يورث غلا...

وسوى بينهم... ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ

إِخْوَانًا﴾

يسقط من ذاكرتك كل شيء من دنياك... بمجرد أن

تدخل المسجد الحرام...

لا تذكر مالك ولا أولادك ولا أوضاعك...

وإنما أفناك عن نفسك... فيه... فلا ترى إلا إياه!!!

ليبك لا شريك لك... لبيك!!!

ولكي يتم عليهم نعمة التجلي...

قال لهم: ايتوني في موجه إبراهيم... وأنتم في المسجد

الحرام...

ولفتهم إلى هذا بقوله:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾

كما نعم إبراهيم... يتجلى اسمنا السلام... لما تحقق  
بأمواج ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ ...

فإن لكم أن تنعموا كما نعم... إذا جئتموني ها هنا...  
من نفس الموجة...

هنالك تنعموا انعمياً لا يتناهى...

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

انظر إلى السر المكنون... في تتابع التعبيرين!!؟

تنعم بنعيم « مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا »

إذا جئت في « مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ »

هنالك « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا »

وتذكر أن هذه نزلت على رسول الله صلى الله عليه

وسلم... يوم الحج الأكبر... في عرفات...

تعرف الارتباط وسره...

أن الحج إتمام للنعمة... والإسلام التام لله... كما فعل  
إبراهيم... هو الموجة التي تلتقط هذا النعيم...

نعم تجلي الاسم السلام!!!

سبحانك... سبحانك...

ما أعظم ما أنعمت على عبادك... حين دعوتهم إلى  
حج البيت... ليعيشوا سويحات في نعم الجنة!!!

حيث يتجلى... اسمك السلام!!!

معجزات ... المسجد ... الحرام ...!؟

حين تقرأ ...

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا  
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾!!!

وآيات هنا بمعنى معجزات ... وبيِّنات ... بمعنى  
ظاهرات للعيون ... غير خافيات ...

فما هي هذه المعجزات الظاهرات ... في المسجد  
الحرام !!؟

من معجزاته ... تلك المعجزة الخالدة ... معجزة

زمزم... وهذه فرغنا من أمرها في فصل سابق...  
إلا أن هناك معجزات... قد تكون أعظم اعجازاً من  
المعجزات المادية الظاهرة...

فمن معجزات المسجد الحرام... أن يجتمع فيه أكثر  
من نصف مليون رجل... وأكثر من نصف مليون  
امرأة...

في وقت واحد... في مكان واحد...  
ولا يكون بينهم أي احساس... مما يكون دائماً بين  
الذكور والإناث... إذا اجتمعوا في مكان واحد!!!  
شهدت بعيني هذا المشهد... أو هذه المعجزة  
العجيبة...

كنت أدخل إلى المسجد الحرام... في أيام الحج...  
لأداء الصلاة...

فأجد الألوف من الرجال... والألوف من النساء...  
من شتى الأشكال... وشتى الأجناس... وشتى الأعمار...  
وقد يدفعهم التزاحم إلى التداخل في الصفوف...

تداخل صفوف النساء ... مع صفوف الرجال ...  
أو يدفعهم تزاحم الطواف إلى التداخل ... أثناء  
الطواف ...

أو التزاحم في السعي بين الصفا والمروة ... إلى  
اختلاط الجنسين ...

ولكن المعجزة ... أنه لا يكون في إحساس الرجال ...  
أو إحساس النساء ... أدنى شعور مما يكون عادة بين  
الذكر والأنثى !!!

وهذه في حد ذاتها معجزة ...

فما الذي سحب من إحساس الرجال إحساسهم نحو  
الإناث ...

وما الذي سحب من إحساس الإناث إحساسهن نحو  
الرجال !!؟

ما هذا الأكسير الخفي الذي صنع تلك المعجزة ...  
المخارقة للناموس الطبيعي !!؟

ما الذي ألقى الإحساس الجنسي بين الجنسين ... في

المسجد الحرام... مع أن التكوين الغريزي بينها هو هو لم  
يتغير!!؟

هذه معجزة من معجزات المسجد الحرام!!!

ولكن ما سرّها!!؟

سرّها.. أن الناموس الدنيوي يُلغى في المسجد  
الحرام... ويحل محله ناموس أعلى منه... ناموس من  
نواميس الآخرة... من نواميس الجنة!!!

فإذا دخلت هذه الأعداد من الرجال والنساء... إلى  
المسجد الحرام... ذهب عنهم وعنهن فوراً... احساس  
الغريزة الجنسية... وأبدلهم الله بدلاً منه... احساس  
السلام... تشعشع عليهم وعليهن... تجلى الاسم السلام!!!  
فتشهد صفوفاً من الرجال الخاشعين... الغاضين  
لأبصارهم...

وتشهد صفوفاً من النساء... في ملابسهن البيضاء  
الجميلة... غاضات أبصارهن...  
لا يفكر الرجال في النساء...

ولا النساء هن يفكرن في الرجال ...

وإنما « سَلَامًا سَلَامًا » !!!

سبحانك ... سبحانك !!!

كنت أشهد هذا كل مرة ... فأقول في نفسي: عجباً ...  
كأن الرجال لم يعودوا رجالاً ... وكأن النساء لسن نساءً !!!  
وإنما هؤلاء وأولئك ... ملائكة يُسَبِّحون الليل والنهار  
لا يفترون !!!

هذه معجزة ... وأخرى ...

أن من ذاق الصلاة في المسجد الحرام ... يتألم أشد  
الألم ... أن يصلي في مسجد سواه !!!

عندما عدت إلى القاهرة كلما دخلت مسجداً لأداء  
الصلاة ... أحسست أنه ليس شيئاً على الإطلاق !!!

فلما استبد بي ذلك الإحساس ... قلت: لأذهبن إلى  
أعلى مساجد القاهرة روحانية ... لعلني أتخلص من ذلك  
الإحساس ...

فذهبت إلى مسجد الإمام الحسين ... رضي الله عنه ...

ودخلت إليه... وكنت من قبل أحس فيه بروحانية  
جارفة...

فأدهشني حين دخلته تلك المرة... أنني لا أجد ما  
كنت أجد من قبل!!!  
فحزنت حزناً شديداً...

إن المسجد الحرام... أطاح بإحساسي نحو كل مسجد  
بعده...

فلم أعد أشعر أن هذه المساجد مساجد!!!  
وتلك معجزة عجيبة من المسجد الحرام!!!  
وأين تجد في الأرض مسجداً... كالمسجد الحرام!!؟  
وتذكرت قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي  
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ  
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ  
الْبَيْتِ...﴾...

نعم نعم... هو أول بيت... هو أعلى بيت...  
فيه آيات!!!

أين في الأرض مسجد إذا دخلته كنت آمناً... غير  
ذلك البيت!!؟

إن الله اختار ذلك المكان... ليجعله... جنة في  
الأرض...

وأنزل فيه... ما ينزل على أهل الجنة من  
التجليات...

فأين تجد هذا... إلا في المسجد الحرام!!؟

إنك إذا صليت في المسجد الحرام... تشعر أنك محمول  
لا حامل...

فلا تشعر بثقل الصلاة... الذي تجده أحياناً من  
نفسك حين تصلي في المساجد الأخرى!!!

فتصلي في المسجد الحرام... وقد سُحِبَ منك  
الإحساس بأن هذه فريضة أو تكليف...

وإنما هي لحظات... في حضرة الله...

ولعل هذا هو السر في تدافع الناس... إلى المسجد  
الحرام... قبل الأذان بساعات...

لينعموا بنعيم الجنة... الذي لا يجدونه في مسجد

سواه!!!

ومن ذاق الأعلى... كره أن يذوق الأدنى...

فمن ذاق الصلاة في المسجد الحرام... كره وشقاً

عليه... وتألم إذا صلى بعده في مسجد آخر!!!

أين من أين؟!!!

أين مسجد يقوم فيه ناموس الجنة... من مسجد يقوم

فيه ناموس الدنيا?!!!

إذا صليت في أي مسجد... نازعتك الشياطين

صلاتك... وأنت تصلي...

إلا في المسجد الحرام... فإنك تصلي... خالصاً... لا

تجد تلك المنازعة... ولا تلك المضادة...

ولعل هذا سر من أسرار تسميته بالمسجد الحرام...

أي المحرم... على الشياطين... أن يدخلوه...

فمن دخله كان آمناً... من وساوسهم...

لأن أمواج التجلي فيه... عالية جداً... تصعق

الشياطين أن يدخلوها... وإنما يفرون منها فراراً...  
فيخلص المكان لأهله... فإذا دخلوه كانوا آمينين!!!  
وهذا لا يتيسر ولا يتوفر في غيره من المساجد...  
وتلك آية أخرى...

فحين دعاك ربك إلى حج البيت...

إنما يريد أن يقول للناس تعالوا أيها المساكين...  
تعالوا... فادخلوا هذه الجنة... وانعموا بنعيمها...  
وهذا يذكرنا بقوله... صلى الله عليه وسلم:

« ليس للحج المبرور ثواب دون الجنة »!!!

نعم... جنّة في الدنيا... هي هذا المسجد الحرام...  
وجنّة في الآخرة...

ومن دخل الجنّة في الدنيا... دخلها في الآخرة... إن

شاء الله!!!

## فهرس

٥	مقدمة
٧	وتله <sup>رتو</sup> .....للجبن
١٦	واذكر في الكتاب.....إسماعيل
٢٦	وما سر.....الصف
٤٢	وما سر.....المسجد.....الحرام
٦٣	الليل.....في المسجد.....الحرام
٦٨	بيتي
٨٣	سر.....قوله.....حج البيت
٩٠	الأسرار.....تداعى
١٠٠	معجزات.....المسجد.....الحرام

## أخطاء مطبعية

التصحيح	الخطأ	رقم السطر بالصفحة	رقم الصفحة بالكتاب
طريقة	طريقه	٦	٩٥
انتونى	انتونى	١٢	٩٧
بتجلى	يتجلى	١	٩٨

المكتبة العصرية  
للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٧٥٤٥ - ص ب : ٨٢٥٥  
بيروت - لبنان